الإمام
محمد متولي الشعراوي

الانسان الكامل
محمد
صلى الله عليه وسلم

دار الندوة


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

.. لا يـزال شيخنـا

الامـام محمد متولى الشعراوى يأخذنا فى كل لقاء معه الى بحار الايمان فى قوارب النجاة يضرب بمجدافيه ليلقى فى هذه البحار مصابيح الهداية لتكون لنا راية إيمانية نهتدى بها ويهتدى معنا كل من ينطق .. لا إله إلا الله وإن محمداً رسولا الله .

وصفحات هذا الكتاب تعرض بجلاء نورانياً لأمرين يعشق كل المسلمين الاقتراب منهما لعبق جلال هذين الامرين وهما ..

◉ **الأول** الانسان الكامل محمد ﷺ .. ونعرض للامام فقراتها فى فيض من الله يبين لنا أن الرسول هو النموذج الذى صنعه الإله ليكون قدوة لخلق الله فى حركة الحياة ، ليوضح لنا أن الرسول هو النموذج الكامل التطبيقى ، فكل ماجاء به هو .. منهج من الله سبحانه وتعالى ،

ولذلك نجده في كل زوايا الحياة مثلا أعلى للمثالية لما لهذه المثالية من تطبيقاً للمنهج الرباني الذى أتى به ، وتلك المثالية تشهد بصدق ما بلغه للناس بلاغ حق ليكون شهيداً عليهم يوم تشهد علينا كل جوارحنا ، ويوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

◉ **والثانى** هجرة الرسول ﷺ تعد إنطلاقاً للدعوة الاسلامية .. وهذا الامر الثانى يعد مناسبة لها من المعانى ماتجعل عرضها من الاهمية بأن تمثل ركيزة فى الدعوة الاسلامية .. الهجرة حدث ضخم وعظيم فقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يعلمنا أن الهجرة بداية لإنطلاق الدعوة الإسلامية وذلك لتشرق شمس الإسلام على شتى بقاع المعمورة لتكون نورا للهداية . والرسول ﷺ يعطينا من الهجرة دروساً نتأسى بها فى كل أحداثها الضخمة التى تؤثر فى مجرى حركة حياتنا الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

وبعد ..

تلك موجز لموضوعين هذا الكتاب الذى حدثنا بهما **الامام محمد متولى الشعراوى** أطال الله فى عمره ، وهما عطاء من إحدى معطياته الفياضة لمنهج دعوته الاسلامية هنا وهناك .. ليلاً ونهاراً ، ففيها من الدرر والجواهر التى تلزمنا فى تقديمها لمحبيه وقراءه الاعزاء لنسجل له هذا التراث الايمانى النورانى ليكون لنا طريقا للنجاة من بحار الظلمات التى يقف الامام على شاطئها يمد يده لنا ليأخذ بنا الى بستان الهداية والفلاح .

الناشر

أولا ٥٥٥٥

الانســـان الكامــل

محمـــــد

صلى الله عليه وسلم

قدوة لخلق الله
فى حركة الحياة



تحيــــة الاســــلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأصلى
وأسلم على خير خلقك ، وأنبيائك
وخير رسلك ورحمتك للعالمين سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ..

وبعد

فإننى أحمد الله لى ولكم ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجزى بالخير لكل الناس .. والحق سبحانه وتعالى لايضن على مخلص لدينه أن .. ينطق لسانه بما يمتع آذان المستمعين المتلهفين للفهم عن الله .

١

نمـــــوذج لصنع الإله

المتكلم فى دين الله يقدم من فيض الله على عباده فلا يلومن أحد يسمع أحد يتكلم .. لأن أرزاق السامعـين يجريها الله على ألسنة المتكلمين .

واذا كان لنا أن نتكلم فى محور حديثنا اليوم .. فاننى أحب أولاً أن نحلل كلمات الموضوع حين يأتى الكلام على موضوع متفق عليه .

موضوعنا اليوم .. الانسان الكامل محمد ﷺ ، وهو النموذج الذى صنعه الإله ليكون .. قدوة لخلق الله فى حركة الحياة .

الإنسان كما نعلم هو .. خليفة الله فى الارض ، وخَلْقُهُ الله لا لحاجة اليه ، ولكن لإبراز تجليات صفاته فيه .. فَقُدْرَةِ القادر لاتظهر إلا فى مقدور ، وحكمة الحكيم لاتظهر إلا فى محكم .

متعلقـــات

صفات الله ..

كل شئ من صفات الله لها متعلقاتها ، فلو أن الحق سبحانه وتعالى أرد أن يطاع فقط لإستغنى بما خلق .. قبل الانسان ، وقبل الجان فتلك عالم مسخر لما أراد الله فلايستطيع كل من فيه أن يخرج عن مراد ربه منه ، ولكن ذلك .. يثبت لله صفة القهر .

الله سبحانه وتعالى يريد .. أن يثبت لنفسه صفة المحبة فخلق الإنسان ، وجعل فيه صفة الإختيار ليكون منطقها العقل الذى يختار بين البدائل ، ثم جعل التكليف مناط الإختيار ،فإما أن يقبل العبد باختياره الى منهج ربه ، وإما أن يتأبى عن خالقه .

العبد حين يقبل على منهج ربه ، ولا يتأبى على منهاج ربه .. فانه لم يخرج عن مراد الله .. كوناً فى ذلك أن الله لو لم يرد ذلك لما كان ذلك حاصلاً ، وإنما هناك فارق بين أن يراد الشىء .. كوناً ، وبين أن يراد الشىء .. شرعاً .

* * *

٢

مقومات الحياة للإنسان

الإنسان موضوع هذا الوجود .. إستقبله الوجود كله بكل مقومات الحياة له ، وإستقبله الوجود بأسرار من الله التى أودعها الله سبحانه وتعالى فى كونه .

وإذا أراد ذلك الإنسان أن يجرى حياته فوق الضرورة .. فعليه أن يعمل عقله الذى خلقه الله له ، والأسرار الموجودة فى الكون وهى التى نسميها الآن بالإكتشافات الحديثة فهى أشياء إكتنزها الله سبحانه

وتعالى فى كونه ليستطيع بها أصحاب الطموحات أن يثيروا عنها الكون فيخرجوا منها ماشاء الله أن يخرج ، فكل سر فى هذا الكون ينشأ باختراع مخترع .. أو إكتشاف مُكْتَشَفٌ له ميلاد كميلاد الانسان نفسه .

الصدفة عندنا تقدير موقوت عند الله ..

كل سر فى هذا الوجود له .. ميلاد كميلاد الانسان ، وهذا الميلاد إما أن يصادف بحث الانسان حوله ليصل اليه ، وبذلك تتفق نهاية البحث بوقت الميلاد إلى أن يشاء الله أن يولد هذا السر فى الكون ، وليس للإنسان عمل فى أن يصل إليه فيعطيه الله للإنسان صدفة ، هى صدفة عندنا ولكنه تقدير موقوت عند الله .

إذا نظرنا الى كثير من الأشياء التى إكتشفت أو أخترعت لوجدنا أغلبها جاء صدفة ، ومعنى صدفة .. إنه ميلاد إنتفاع خلق الله بها قد حان ، ولكن طريقة البحث فى الوصول اليها لم توجد ، فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يعلم علم انكشاف ، وعلم وقوع من خلقه .. إن خلقه إستغلوا الفكر الذى خلقه الله له ليكتشف ، وليرقىَ وليُسَعِد وَيَسْعَدَ .

إذا نظرنا الى مقياس الوجود لوجدنا أن سيادة الإنسان سيادة معترف بها ، فاذا نظرنا الى الأكوان التى دونه وجدناها ..

الأول هو .. الحيوان .

الثانى هو .. النبات .

الثالث هو .. الجماد .

فتلك هى أجناس الوجود .. إنسان ، ونبات ، وحيوان والجماد .. يخدم من هو أعلى منه أى يخدم النبات ، ويخدم ألحيوان ، ويخدم الانسان .

النبات .. يخدم الحيوان ، ويخدم أيضاً الإنسان .

والحيوان .. يخدم الإنسان .

وقفة عقلية للإنسان والبحث عن معطيات الكون ..

إذاً .. الإنسان هو السيد ، فليسأل نفسه ماذا تخدم أنت ؟ .. فاذا لم تبحث أنت عن مهمة لك فى الوجود ، فأنت فيها أتفه من الجماد ، ومن النبات ، وأتفه أيضاً من الحيوان .

لذا .. الإنسان يجب أن يقف وقفة عقلية طويلة ليعلم مهمته فى هذا .. الوجود ، ومهمته فى هذا الوجود هى التى يتوقف عليها هو .. أنه نجح فى هذا الوجود أم لم ينجح ؟ .

الإنسان العاقل فى هذا الوجود يبحث عن معطيات الكون الذى يبحث فيه ، فاذا كان الانسان وجد ، ووجد أجناس أعلى منه لتخدمه ، وهذه الأجناس لم تكن فى مقدوره أن يسخرها .. فلا يستطيع أن يأمر الشمس ، ولايستطيع أن يأمر الهواء ، ولا أن يأمر الأرض فتخرج له شيئاً .. فكأن الإنسان يجب أن يفكر فى هذه القوة التى خلقت له هذه الأشياء والتى لا يمكن أن تكون فى مقدورة ـــ أى القوة ـــ ومع ذلك هى فى خدمته .

تلك قضية عقلية يجب أن يقف العاقل عندها ليبحث عن مهمته .

* * *



خلق السموات والارض والانسان

أى صنعة من الصناعات دائماً لاتحددها الصفة ، وإنما يحددها الذى صنعها ، فكل أجهزة ينتفع بها إنما .. حدد لها مهمتها صانعها وأعد لها مايسمى .. كتالوج ليشرح كيف تؤدى الصفة مهمتها .

وإذا كان الإنسان قد وجد نفسه فى هذا الوجود ، ووجد هذا العالم الضخم الذى حوله ، ولم يَدَّعِ أحد من الناس أنه صنع هذا .. الإنسان فعليه أن يعلم أن الذى صنعه هو الذى وضع كتالوج حياته .. إفعل كذا ، ولا تفعل هذا .

الله سبحانه وتعالى إما أن يصنع الخلق ، ويأتى بعد ذلك إنسان له نظام حياة نقول .. تلك حالة ، نحن لم نكلف الجزار بأن يضع قانون صيانة الثلاجة أو التليفزيون ، وإنما الذى صنع تلك الأجهزة هو الذى يضع قانون حياتها وصيانتها .

التكليف من السماء يأتى فهو بذلك قانون صيانة ذلك الإنسان الذى خلقه الله ، ولذلك نجد أن القرآن الكريم حينما تكلم عن خلق ذلك الإنسان أجاب عن تساؤلات تشكلها ألغاز خلق ذلك الإنسان .

الإنسان حينما خلقه الله سبحانه وتعالى كما حدثنا القرآن ، فان الله سبحانه وتعالى خلق لنا غيب لا نعلمه ، وحدثنا عن ..

عن التراب وعن الماء

وعن الصلصال وعن الحمأ المسنون .

وعن الطين وعن الروح .

وكل ذلك حديث لا نعرف عنه شيئاً ، وكل عقل بشرى يحاول أن يعرف هذه الأشياء والتى سبقت وجوده أى .. كيف خلق ، هو حديث باطل ، حديث مضللين لأنه أمر لا يدخل تحت التجربة المعملية فلا يمكن أن يحكم فيه إلا من خلقه .

أنهـــم يـضللـــون

ولا يمثلون الحقيقة !!

فى خلق الإنسان ، وخلق السماوات والأرض نجد القرآن الكريم حينما يتكلم فى هذا الأمر يقول بما يقطع المحال للبحث التجريبى المعملى فيه إذ يقول ..

«مَّا أَشْهَدتُّهُـمْ خَلْـقَ السَّمَـوَاتِ
وَالأَرْضِ وَلاَ خَلْـقَ أَنفُسِهِـمْ
وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُـداً»

(الكهف : ٥١)

وقد أخبرنا القرآن أن في الكون مضللين يضللون الناس عن كيفية خلق السموات وخلق الأرض ، وخلق الإنسان سماهم الله ... مضللين أى أنهم يبعدوننا عن حقيقة الشئ ، وأنهم يتكلمون فى شئ لم يفهموه ، ومايطمئننا إلى أن مايقولونه لا يمثل الحقيقة .. هو أن هؤلاء الذين قالوا لم يكونوا مشاركين الله سبحانه وتعالى فى الخلق حتى يقال فمنهم أنهم أعلموا بكيفية خلق الله !.

ولكن الرسالات السماوية إنما جاءت لتحل للعقل البشرى ألغازاً يقف عندها ويحب أن يقف عندها .

* * *

٤

إدراك الوجود

الله سبحانه وتعالى جعل فى كونه أسراراً فهى ..تخرج بميعاد وميلاد ، وذلك كما سبق أن قلنا أن مايجعل الحق سبحانه وتعالى فى مشهديات ألحياة ومواقعها مايؤكد صدقه فى الغيب عنها فى الحياة ، وكيف نشأت الحياة فى الغيب ؟.. ولكن نقيض الحياة هو .. الموت فليس بغيب لأنه أمر مشهود لنا جميعاً .

الحق سبحانه وتعالى من رحمته بخلقه وذلك للإيناس أن يمدهم بالشهود على التصديق بالغائب عنهم .. فإذا كان الموت هو شهود لنا ، ونحن نعلم أطواره فحين نقول .. خرجت روح ، وحينما نقول .. تصلب جسم فلان ؛ وحين يقال .. رُمّ جسم فلان ، وحين يقال أيضاً .. جسم فلان أصبح تراباً .. فعناصر كل ذلك أمر يشهده الإنسان فى الحياة .

نقيض الحياة
دليل صــدق ..

الحياة فى أصلها أمر لم نشهده ، فيجعل الله سبحانه وتعالى مانشهده فى نقيض الحياة وهو .. الموت هو الدليل على صدق الله فى إيجاد الحياة .. كيف يكون ذلك ؟.. نقيض كل شئ يأتى على عكس بنائه .

ومثال ذلك أنه إذا مابنيت عمارة من عدة طوابق ، وأردت أن تهدمها فإنك تأتى إلى مابنى أخيراً منها لتهدمه أولاً .. إذاً فنقض كل الشئ على عكس بنائه .

الموت مادام هو نقيض للحياة .. فكيف نشأت الحياة ؟ .. الله سبحانه وتعالى قال عن الإنسان أنه خلقه من ماء ، ثم إختلط الماء بالتراب فصار .. طيناً ثم صار حماً مسنوناً ، ثم صار صلصالاً كالفخار ، ثم صوره الله سبحانه وتعالى بيده ، ثم نفخ فيه الروح .

ثم يأتى التعفن .. ثم يحدث تبخير لما فى الجسم من الماء ثم يستقر مابقى من عنصر التراب فى التراب .

إذاً .. الموت الذى نشهده الآن دليل صدق الله سبحانه وتعالى على كيفية خلق الحياة فيما لم نعلم ، فالحق سبحانه وتعالى يترك فى أسرار الوجود مايدل على صدقه فحينما ندرك شيئاً نعلم أنه موجود، فعدم إدراكه أيعنى ذلك أنه غير موجود ؟. الوجود شئ، وإدراك الوجود شئ آخر.

كثير من الأشياء التى إكتشفها الإنسان لو حَدَّثَ الله بها الإنسان من كذا قرن فإنه لم يؤمن بها ، ولكنها حين توجد ، فإنه لم يدركها .. لأن الإدراك عنده لم يكن قد إرتقى حتى يصل إلى هذه الحقيقة .

والحق سبحانه وتعالى حينما تكلم عن الخلق .. تكلم عما يُبْقِي ذلك الخلق لأن بقاء النفس الإنسانية لابد أن يضمنها خَالِقُ النفس فيأتى فى بعض آيات كتابه العزيز ..

«قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِى خَلَقَ الأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا»

(فصلت : ٩/١٠)

أى .. الإنسان هو الذى خلق من الطين ، ومن الأرض قوته إذاً من .. الطين ، ومن الأرض .

*   *   *

٥

صدق الحق في الإخبار

العلم العلم حينما إرتقى ، وتقدمت الكشفيات ، وأهل العلم حللوا مادة جسم الإنسان فوجدوها من عناصر الكون كله ..

◉ أولها .. الأوكسچين .

◉ ثانياً .. الهيدروچين ، والنتروچين ، الحديد ، الكربون ، الكلور ، الصوديوم ، المغنسيوم ، اليود ، المنجنيز ، السيليون .. الخ ١٦ عنصراً .

أى أنهم ١٦ عنصراً مكونات جسم الإنسان ، ثم حللوا طينة الأرض فوجدوها نفس الستة عشر عنصراً هى الذى خلق الله منها الإنسان .

إذاً .. فالحق سبحانه وتعالى يجعل فى إكتشافات الأسرار مايؤيد صدق الله فى الأخبار ، والحق سبحانه حينما خلق الإنسان ، وجعل له

ذلك الإقتيات لابد أن يمده بمنهج حياته حتى يحدد للإنسان فيه مهمته ولا يمكن أن نقول أن إنسان نجح فى مهمة ما إلا إذا حددنا له هذه وتلك المهمة ، والمهمة لا يمكن أن تختتم بتلك الصنعة ، وإنما توجد بتكليف الصانع .

الرسل ومنهجهم
فى حركة الحياة ..

الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل ليبينوا لخلق الله منهجهم وحركتهم فى الحياة وهى التى تنحصر فى إفعل ولا تفعل ، فإذا مانظر الإنسان إلى مسألة الرسل فتجدها أنها كانت ضرورة حتمية لإبلاغ الله خلقه لمنهجة وذلك للذين يتحركون في الحياة على ضوءه هداه .. فتجد الحق سبحانه وتعالى قد علم ذلك لآدم عليه السلام فقال لآدم وذريته ..

«فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِّنِّى هُدًى»

(طه : ١٢٣)

إذاً .. آدم سيأتيه الهدى من الله بافعل ولا تفعل .. وبالطبيعة فأن آدم لابد أن يبلغ بنيه .

ولكن شهوات النفس قد تجعل الإنسان يخرج عن المنهج وإتساع رقعة الأرض لم تكن معمورة بالخلق ، ولكنها عمرت حينما يكتظ مكان ما

بسكانه ثم يذهب قوم آخرون إلى مكان آخر ، ولم تكن وسائل الإنتقال معروفة أو ميسرة فكان كل قوم يسكنون فى أماكن قد تكون بعيدة جداً عن الآخرين ولا علم لواحد بالآخر فكل بيئة تنشأ فيها داءات .. هذه الداءات ــ الأمراض ــ لابد أن تعالجها السماء ، وحينما لا يوجد من يقف أمامها ليمنعها .. أى إذا طم ـ عم ـ الفساد فى البيئة فهنا تتدخل السماء .. فكأن الرسل تجئ فى كل بيئه لتعالج الفساد الذى نشأ فى هذه البيئات .

ولكن الحق سبحانه وتعالى بعلمه الأزلى عَلِمَ .. أن العالم سيلتقى ، وأن العالم سييسر له سبيل التقاء البلاد فيما بينها بعد ، وأن هذه الداءات ستصبح واحدة فى الشرق والغرب ، وإمام وحدة داءات العالم .. أى عندما تكون هذه واحدة فلابد من رسول واحد يعالج هذه الداءات جميعها ليتناسب الرسول مع البيئات فى الكرة الأرضية .

رسالة رسول الله محمد ﷺ جاءت .. رسالة عامة ، وبعد ذلك غطت كثير من التساؤلات التى يجب أن يقف العقل البشرى على مفهومها .. فالعقل البشرى الذى يتكلم الآن فى اللغات ، وفى أصولها ، وكيف تكلم الإنسان يقف عند هذه المسألة .

إذاً .. اللغة ليست جنساً ، وليست بيئية ، وليست نسباً فالولد الذى بيئته عريقة ويعيش فى وسط إنجليزى يتعلم منه الإنجليزية والعكس .. أى أن اللغة ظاهرة إجتماعية .

المتواليات الخلقية ..

ومع كون اللغة ظاهرة إجتماعية فإن ماتسمعه الأذن يحكيه اللسان فى أى بيئة ، ويكون هناك شئ إسمه المتواليات فنحن نسمع شيئاً إسمه المتواليات الهندسية والتقدم فيه متواليات .. فإذا كان العالم الآن يتكاثر ولوحصرنا تعداده الآن لوجدناه أربعة مليون نسمة ، ومنذ قرن كان الفين فرضاً ، ومن عشرة قرون كان الفاً .. أى نسلسلها بأثر رجعى فكلما تقدمت فى الزمن الماضى ـ تراجعت ـ كلما نقص العدد إلى الف ثم خمسمائه ، وإلى مائتين ، والى عشرة وإلى إثنين .

الحق سبحانه وتعالى إذا قال .. إنى خلقت الناس من ذكر وأنثى ثم جعلتهم شعوباً وقبائل ، ففى هذه المعادلة التى هى بالمتواليات الخلقية كيف كانت تحل هذه ؟.. هذه كانت تحل من ناحية التكاثر الإنسانى ، وهذا التكاثر يتكلم أو لا يتكلم . لاشك أنه يتكلم .

حـــــواء وآدم
كيف تكلما ؟!..

وإذا كان الإنسان لا يتكلم إلا بما سمع .. فلقد تكلمت أنا العربية لأننى سمعت أبى يتكلم بها ، وهذا يتكلم الإنجليزية ـ الفصائل الغربية فى اللغات اللاتينية تدل على أن أصل هذه اللغات واحدة ثم بعد ذلك كانت الاستقلاليات ثم التسلسل ـ إننى سمعت من أبى ، وأبى سمع من أبيه وهكذا حتى ينتهى إلى آدم وحواء بالمنطق الاستقرائى الأول .

حواء وآدم كيف تكلما ؟.. مادام الإنسان لا يتكلم إلا بما سمع وهو أن أول الخلق – آدم وحواء – فكيف تكلما ؟.. إذاً يقول الحق سبحانه وتعالى فى قرآنه الكريم وهو الذى حل كل ألغاز الدنيا جميعها إذ قال ..

«وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسْمَآءَ كُلَّهَا»

(البقرة : ٣١)

إذاً هو قد سمع من الله سبحانه وتعالى ، والرسول قد جاء على التقاء من طموحات البشر العقلية بدءاً من آدم إلى أن وصل إلى النضج الفكرى فى عصر رسول الله محمد ﷺ فلابد أن يكون دينه أكمل دين ، ولابد أن يكون الرسول الذى جاء بهذا الدين .. أكمل نموذج لهذا الدين لأن الرسول إنما هو نموذج تطبيقى فقد نعلم كثيراً من التخمينات ، ونعلم كثيراً من المناهج ولكن المهم ليس أن نعلم المنهج .

طالما أن المهم هو ليس أن نعلم المنهج بل الأهم من ذلك هو أن نوظف المنهج ، وألا نجعل المنهج عقيماً .. فمن الذى ينظمه ؟.. الذى ينظمه هو أول من إنفعل به وهو .. رسول الله محمد ﷺ .. أى أن الرسول هو النموذج الكامل التطبيقى .

* * *

مثاليات الرسول
تطبيـــق للمنهج
الربانــــــى

١

مقومات النموذج الكامل

الرسول محمد ﷺ هو النموذج الكامل التطبيقى فكل منهج جاء به هو من الله ، ولذلك تجده فى كل زوايا الحياة مثلاً أعلى ، وتكون مثاليات الرسول تطبيقاً للمنهج الربانى .

اللغة عندما تتكلم عن إضافة شئ فبأى معنى من المعانى تكون تلك الإضافات ؟.. قد تأتى مرة بمعنى .. فى ، ومرة بمعنى .. من ، ومرة بمعنى .. اللام .. كقول .

مكر الليل يعنى .. مكر فى الليل .

أردب قمح يعنى .. أردب من القمح .

مال زيد يعنى .. مال لزيد . أى أن الإضافة تأتي على ثلاثة أشياء

ومثالية الرسول تتمثل فى ..

إضافية مثالية له .

أو مثالية فيه .

أو مثاليه منه .

إذاً الثلاثة موجودات فيه فهى إضافة جمعت كل الإضافات لأن مثالية الرسول هى مثالية فيه حتى يعمل مثلها ، ثم أن الذى جعل المثالية له هو .. خالقه سبحانه وتعالى .

مثالية رسول الله صدق ..

هذه مثالية ومثالية فيه .. نراها فى سلوكه ، لقد دانت له الدنيا وعاش كما تعلمون .. عاش بأبسط ماتكون الحياة .. عاش بالضرورى من العيش فقد كان يمر ثلاثة أيام لم يوقد فى بيته نار ، عاش يغسل جلبابه ويلبسه ، عاش وإبنته تأتيه لتطلب منه خادمة فيقول لها ﷺ قولى ..

«سبحانه الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر»

تلك .. أشياء يتركها الحق سبحانه وتعالى لنا لتعلم أن مامنى به رسول الله ﷺ فى الحياة والآخرة ومافيها من نعيم بِقَدَّرٍ .. إمكانيات الله تلك صادقة بدليل أنه طبقها على نفسه وطبقها على بيته ، وإلا لو كانت هذه الحياة ولا شئ بعدها لسارع إليها أو يسارع أهله إليها .

إذاً .. تلك مثالية كاملة تشهد بصدق مايقوله للناس .. أن الحياة فى الآخرة فيها نعيم مقيم ، .. فيها وفيها .. ففى الحياة الدنيا صاحب النعيم يكون شغله الشاغل فى شيئين هما ..

- الأولى .. هل يدوم له هذا النعيم أم لا يدوم ؟
- الثانية .. هل يدوم للنعيم أم لا يدوم ؟

إن أى متنعم فى الدنيا مهدد بأمرين إثنين .. يخاف أن يفوت منه النعيم بالموت ، أو أن يفوته النعيم فيفتقر .. هذه هى المسألة التى توضح لنا أن الله سبحانه وتعالى لم يدع للموت .. عمراً ولا سبباً ، ولا زمان ولا مكان .

الإبهام هل يكون بياناً ؟..

فى إبهام الله سبحانه وتعالى للموت فهذا الإبهام هو للبيان .. لأن كل البيان هو ماوصل للإبهام يكون بياناً لأن الله سبحانه وتعالى حدده

بسبب محدود في .. كل مكان محدود ، وفي زمن محدود ، ولكن حين يقضيه في كل ذلك فيجعلك تنتظره في أي لحظة من لحظات حياتك ، وفي أي مكان تواجدك .. فهذا أشقى بيان .

ثم ماهو عمر الدنيا عشرين مليون سنة ، أو مائة مليون سنة ، ولا دخل لي إذا كان عمرها مليون سنة لأن الدنيا عندي هي مقدار عمري فقط .. ففي هي الدنيا لاتقل مليون سنة ، ولكن عمر الدنيا هو .. عمرك أنت .

تلك هي الدنيا .. وهل وجودك في الدنيا معلوم أم لا ؟ .. ليس معلوم ، إذاً هات لي متوسط الأعمار ٦٠ سنة أو ٧٠ سنة أيضاً إنها في عداد الإنتهاء .. فهي منتهية مهما طالت والبقاء فيها قليل .

إذاً .. ماهو نعيمك وأنت فيها ؟ .. وعلى أي مقدار ؟ .. وعلى أي كيفية ؟ .

نعيمك على ..

- مقدار إمكانياتك أنت .
- مقدار عملك أنت فيها .
- مقدار شغلك أنت فيها .
- هل بنيت قصراً أو منزلاً ؟ .

إذاً .. النعيم في الدنيا لك على مقدار حركتك فيها ، وإذاً علينا أن نقارن الحياة بالآخرة التي يذكرنا بها الإيمان حتى نرى المثالية العليا في رسول الله ﷺ وفي آله ، وفي أتباعه حتى تقوم الساعة .

أى عند مقارنة الدنيا بالآخرة أتقارن محدوداً بغير محدود ؟!.. إذاً الدنيا ساقطة تقارن مظنوناً وهو عمرك فيها بمتيقين وهو .. الخلود .. تقارن فيها النعيم على قدرك ، وقدر من يعولك ، ونعيمك فى الآخرة على قدر إمكانيات ربك التى هى بغير حدود لك .

إذاً أى الصفات أرجح ؟.. الصفة الإيمانية التى تقيم المثال الكامل فى هذه الدنيا بمايجعلنا نثق بالآخرة ومافيها ، والحق سبحانه وتعالى يقول ..

«وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا»

(القصص : ٧٧)

الذين يتكالبون على الدنيا يستشهدوا به ونقول لهم .. أن الله سبحانه وتعالى يقول ذلك لأنه من منطق العقل ، ولا ينبغى أن ننسى منطق العقل .. إذاً الدنيا أهون من أن تنسى وإنها أتفه من أن تكون .

فى المثالية مجتمع لا حقد ولا بغضاء ..

رسول الله محمد ﷺ .. بالمثالية .. له ، والمثالية .. منه ، والمثالية .. فيه تجعل الدنيا عندنا كالذى يستظل تحت شجرة ثم راح وتركها ، وانظروا إلى .. مجتمع ينظر إلى الدنيا هكذا ، وبهذه النظرة .. لا يوجد

فيها حق ، ولا بفضاء كل شئ فيها مستقيم فما الذى جعلنا مضطربين ومتهافتين فى حياتنا حتى الدول المتحضرة ؟.. لأننا نعتقد أن الدنيا فيها كل شئ .

مثالية الحياة .. لمحمد بن عبدالله ﷺ .. أنك ستجد المثالية فيه حينما يتعرض لمشكلة كونية كانت نتيجة للإنحراف فى فهم الدينين العظيمين اللذين سبقا الإسلام .

ولقد كان المفروض أن عيسى عليه السلام يأتى برسالته ليكمل النقص الذى إنحرفت به اليهودية فإننا نرى أنه عندما إنحرفت اليهودية فى أن جعلت كل شئ مادى ، فهى إن أرادت أن تؤمن بالله فعليها أن ترى الله جهرةً فكان ولابد أن تأتى لها من السماء طاقة روحية ، هذه الطاقة الروحية بعيدة عن أحكام مادية الحياة ، ولذلك نجد أن كل مافى المادية قوانين ليس فيها مسألة واحدة من مسائل نظام الحياة .

* * *

٣

المثاليــــة وحركة الحياة

اليهودية والمسيحية كان من المفروض أن يلتقيا ليكونا مزيجاً يصلح لقيادة الحياة ، ولكن الدينين لم يتعانقا .. لذا كان لابد أن يجئ ذلك الدين الإسلامى على يد رسول الله محمد ﷺ ليحل إشكال هذه المسألة دينياً ، وكونيا .

الكون له .. مادياته ، وله قوانينه ، ولكل مادة قانونها ، للمعمل التجريبى حكمه ، وهذا أمر لا يختلف فيه نشاط عقلى عن نشاط عقلى آخر لأن عطاء المعمل ، وعطاء المادة صماء فقد سبق أن قلنا أنه إذا نظرنا فى عملية الكون وجدنا أن العلم المادى التجريبى متفق عليه بين المعسكرين المتعاديين ـ الأمريكى والروسى ـ فهل عرفنا كهربائى روسى

وكهربائى أمريكى .. أو عرفنا كيميائى إنجليزى أو كيميائى ألمانى فنجد أن كل أمر تعطيه التجربة المادية متفق عليه بينهما .

إذاً .. ماهذا الصراع الذى يوجد بين الكتلتين ؟.. إنه صراع الشئ النظرى حيث نظرية تقول كذا ، ونظرية أخرى تقول كذا حيث تجد هناك رأسمالية ، وهناك شيوعية ، وهناك وجودية ، فمن العجيب أنك تراهما فى الأمر الأول المادى المعملى التجريبى يسرقان من بعضهما ، فكل معسكر يتلصص على المعسكر الآخر .

كما أنه فى الأمور النظرية يحاول كل معسكر أن يبعد نظريات المعسكر الآخر عنه ومن العجيب أنهم إستخدموا نتائج ماإتفقوا عليه فى العلم التجريبى لفرض ماإختلفوا عليه فى القضايا النظرية .

وجاء الرسول محمد ﷺ بمثالية .. منهجه ، ومثالية .. دينه ، ومثالية .. التطبيق ليحل هذا الإشكال .

الإقبال على عطاء الله فى الكون ..

لقد عزلوا حركة الحياة المادية عن مسألة الدين لأن ذلك نشاط عقلى بحت ، وأى عقل يفكر فى كون الله ، ومادة الكون ، ويجرب فيعطيه الله سبحانه وتعالى سراً من أسرار الوجود فذلك لا غُبار عليه وإن كان كافراً بالله فقد سبق أن قلنا أن الله سبحانه وتعالى له عطاءان إثنان هما ..

الأول .. عطاء ربوبية وهو للمؤمن والكافر ، والطائع والعاصى .

والثانى .. عطاء ألوهية فى إفعل أو لا تفعل .

فى عطاء الربوبية .. لا حظوا أن الكل جميعهم المؤمن ، والكافر والطائع والعاصى الكل متساوٍ .

أما عند عطاء الألوهية .. نجد أننا نختلف ، وقوله إفعل كذا ، ولا تفعل كذا هذا يسمع وهذا لا يسمع ، وذلك يطيع وذلك لا يطيع .

فى الأمر الأول .. الكون مباح للجميع للذى يحسن الأسباب فذلك يجيب على إشكالات كثيرة يقولون منها .. أن الإسلام فى تأخر ، فعندما كانت الكنيسة مسيطرة عليهم كانوا فى عصر الإنحطاط والظلام وحينما كنا نحن المسلمين متمسكين بديننا كنا فى عصر النور .

إذاً المسألة .. هى مسألة إقبال على عطاء الله فى الكون فالذى يعمل على عطاء الله سبحانه وتعالى فى الكون يمده الله الحق كما يبينه فى قوله ..

«كُلاًّ نُّمِدُّ هَؤُلاَءِ وَهَؤُلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ
وَمَاكَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً»

(الإسراء : ٢٠)

«مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِى
حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ
مِنْهَا وَمَالَهُ فِى الأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ»

(الشورى : ٢٠)

الله سبحانه وتعالى لايعطل سننه الكونية من أجل أناس آمنوا شكليا وقالوا ..

لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله

ولم ينفعلوا بمعطيات الكون ، ولكن الذى يحسن الأساب يأخذ نتيجة الاسباب .

والرسول محمد ﷺ فى المثالية العليا يحل هذا الاشكال كيف ؟ .

رسول الله ﷺ عندما جاء فوجد القوم يؤبرون النخل .. أى يلقحوه – حتى تأتى النخلة بالثمر الجيد فيقول لهم .. إتركوه ولا تؤبروه ، وتوكلوا على الله ، لماذا قالها ؟ .. قالها عندما قالوا للرسول .. النخل لم يأت بالبلح فقال لهم الرسول ..

أنتم أعلم بشئون دنياكم

الرسول ﷺ أراد أن يعدل هذه المسألة بعيداً عن منهج السماء ، وذلك ليعصمنا عن الاهواء النظرية التى تتدارك ، أما الامور المادية المعملية فأمر مشاع للكل .

إنظروا الي مثالية رسول الله ﷺ بأنه نهض لأن يصحح نصيحة ، ولكنه رجع عنها وقال .. أنتم أعلم بشئون دنياكم .. لأن هذا الامر شغل الدنيا كلها فالرسول بذاته لا يقول لهم لاتعملوا هذا فلا يصلح فى العام

القادم أيضا ، ولكن قال .. أنتم أعلم بشئون دنياكم .. فخذوا بأسباب النجاح والفلاح .

رأس الأمـــة محمـــد صلى الله عليه وسلم ..

بعد ذلك يؤكد الحق سبحانه وتعالى ذلك قرآنيا فيقول الحق أنا جأت للعالم بأمة على رأسها محمد ﷺ فاقرأ معى قول الله سبحانه وتعالى ..

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ
فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ »

(الفتح : ٢٩)

كل الكلام منه أهو كلام قيمى – روحى – أم كلام مادى ؟ .. «رُكَّعًا سُجَّدًا» .. « سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم » .. ذلك كلام قيمى – روحى – مع أن ذلك هو الذى نقص من اليهودية فالعنصر الذى نقص من اليهودية هو الكلام القيمى – الروحى .

«مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ
أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ
فَضْلاً مِّنَ اللهِ وَرِضْوَاناً
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ
السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ »

أى أن هناك قيمة لأن ذلك هو العنصر المفقود عند اليهود .. الله سبحانه وتعالى قال لليهود أنكم ستنحرفون وتصير أموركم كلها مادية .

الله سبحانه وتعالى يقول سأتى برسول الله ﷺ على رأس أمة .. ماذا يعملون وقد عدد الله سبحانه وتعالى القيم كلها وضرب مثلهم فى الإنجيل .

وقال الحق سبحانه وتعالى بعد ذلك ..

« وَمَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى
سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ
الْكُفَّارَ »

(الفتح : ٢٩)

اذاً .. فقد قال الله سبحانه وتعالى بأن محمداً ﷺ سيكون على رأس أمة تجمع بين الأمرين بعد المادية ..

◉ ينقب بالفعل المخلوق لله ، .

◉ والطاقة فى الأرض المخلوقة لله ليبتكروا فيها الأشياء المادية ومع ذلك لاينسون القيم التى تأتى من الركوع وهم الذين سيماهم على وجوههم من أثر السجود .

المشكلة قد حلت على حساب رسول الله ﷺ فهو يقول لاتؤبروا النخل فقط بل لقحوه لأنه يريد أن يحل مشكلة كونية .

إذاً فالرسول محمد ﷺ مثل أعلى فى البلاغ عن الله سبحانه وتعالى ، وفى تطبيق ذلك على نفسه

إطفـــئوا مصابيحكم
فقد سطعت شمس الله

والكون إذا مانظرنا اليه ، والعالم وما ينتهى اليه .. فإن الدين قائم وموجود حتى تقوم الساعة ، والعالم سيبلغ مبلغا كبيرا فى الإلتقاء الحضارى وذلك فى حضانة دين الإسلام ورسوله محمد ﷺ .

نقول تعالوامعنا لنأخذ من واقع الحياة مانرد .. لو أن إنسانا فقيراً ، وفى ليل مظلم يريد أن يوقد لمبة صاروخ مثلاً ، أو لمبة جاز ـ كيروسين ـ

ثم إرتقى بعد ذلك وجاء بمصباح كهربائى ، ثم بعد ذلك لمبه نيون فاننا بذلك نضىء على قدر إمكانياتنا .. فكل فرد ينير على قدر إمكانياته ماعنده من شمعة يوقدها أو لمبة أو نيون يوقدها .

إذاً .. ينير الناس ظلماتهم بحسب إمكانياتهم ، فبالله عليك قولوا لى حين تطلع شمس الله على الكون ألا يطفىء كل فرد مصباحه ، فذلك يدلنا على أننا نقتات على الله مادام الله حكم ، وللبشر حكم نقول لهم .. إطفئوا مصابيحكم فقد سطعت شمس الله ، والله سبحانه وتعالى يتولانا جميعا ، ويوفقنا بمنهجه والله أعلم .

* * *

فى صفات رسول الله
كماليـات للبشريـة

١

الكمال فى بشرية رســـول اللـــه

رسول الله محمد ﷺ جاء الى الكون بعد أن مهد له ربه تمهيداً كاملاً بأن تكون بشريته .. بشرية النبيين ، وذكر الله سبحانه وتعالى صفاته فى الكتب السماوية التى نزلت قبل القرآن الكريم ليعرفه أهل الكتاب فلا تكون لأحد يوم القيامة حجة فى أن لايؤمن به ، ولذلك كانت أوصاف رسول الله محمد ﷺ ليروى ظمأ محبة أهل الايمان عن الرسول ﷺ .

الخليفة على بن أبى طالب رابع الخلفاء الراشدين ، وأول من آمن به وهو طفلاًوعم رسول الله أبو طالب ووالد على رضى الله عنه هو الذى كفل الرسول ﷺ ، ويبعث رسول الله علياً إلى أهل اليمن ليدعوهم للإسلام ،

ويحضر مجلس القوم فيستمعون الى كلام علّى رضى الله عنه فيسأله أحد أحبار اليهود .. صف لنا رسول الله أبا القاسم محمد بن عبدالله ، وكان الحبر اليهودى يمسك فى يده كتابا ، وكلما تحدث علّى رضى الله عنه قلب اليهودى صفحات الكتاب كأنه .. يراجع الأوصاف التى ينطق بها علّى رضى الله عنه .

على بن أبى طالب رضى الله عنه قال .. أن رسول الله ﷺ ..

● ليس بالقصير ، ولا الطويل البائن .. أى أن الرسول ﷺ لم يكن يميل الى القصر ولا زائد فى الطول .

● رسول الله ﷺ ليس بالجعد القطط ، ولا بالبسط .. أى أن شعر رسول الله كان أسود اللون وسطاً بين النعومة والتجعيد .

● ضخم الرأس مشرب لونه حمره ، أهدب الاشفار سلط الجبين .. أى أن رسول الله كان وجهه فى لون الزهر الأبيض ، ويميل إلى الإحمرار ، رموش عينيه طويلة ، وجبهته واسعة ناعمة .

● رسول الله شثن الكفين والقدمين بعيد ما بين المنكبين .. أى أن عظام رسول الله ﷺ كانت ضخمة عند ملتقى العظام فى الجسم كالركبتين والمرفقين والمنكبين ، وهذا دليل على قوة البدن ، وقوة الرسول ، وكفاه كانت ضخمة ، وأصابعه قوية .

● اذا مشى رسول الله ﷺ يتكأ كأنما ينزل من صبب لم أرى قبله وبعده مثله .. أى أن رسول الله ﷺ عندما كان يسيركانت الارض تنحدر أمامه خشوعا فيميل للأمام فى سيره .

وهنا صمت على بن أبى طالب فأكمل الحبر اليهودى الحديث من الكتاب الذى معه فقال .. أن رسول الله فى .. عينيه حبرة ، حسن اللحية ، حسن الفم ، تام الأذنين ، يقبل جميعاً ويدبر جميعاً فرد على بن أبى طالب .. هذه والله صفة رسول الله ، فقال الحبر اليهودى .. وفيه حِنَاءً أى يميل الى الأمام ، فقال علّى رضى الله عنه .. هو الذى قلت كأنه ينزل من صبب أى أن الأرض تنحدر أمامه ، فقال الحبر اليهودى .. إن هذه الصفات فى سفر أبائى .. وأشار الى الكتاب الذى يحمله .

وقال الحبر اليهودى أيضاً .. ومكتوب أيضاً ، ومجده يبعث من حرم الله وأمنه وموضع بيته ، ثم يهاجر الى حرم يحرمه ، ويكون لهذا الحرم كحرمة الحرم الذى حرمه الله .. ويستمر الحوار بين على بن أبى طالب والحبر اليهودى الى أن يعلن الحبر تطابق صفات رسول الله ﷺ على ماورد فى أسفار التوراة ، وحينئذ يعلن الحبر اليهودى .. أشهد أنه نبى الله ، وأنه رسول الله الى الناس كافة .

ولقد كان رسول الله ﷺ ..

* فخماً ضخماً يتلألأ وجهه كوجه القمر ليلة البدر ، إذا سره شىء يمتلىء وجهه بشراً .

* أزج الحواجب أى دقيقها ، وبين الحواجب فرق وفى هذا الفرق عرق يظهر اذا غضب .

* لرسول الله نور يعلوه بهالة من الضياء تشع من فوقه .

* شديد سواد العينين .

* واسع الفم سهل الخدين أى لايوجد فى أحد خديه علو أو بثور أو ورم .

* مفلطح الاسنان .. أى أن أسنانه مستوية ، وبينها مسافات قليلة دقيقة .

* فى ظهره خاتم النبوة الذى تحدثت عنه الكتب السماوية السابقة للقرآن الكريم .

لقد كان رسول الله ﷺ .. أحسن الناس وجهاً ، وأعظمهم خلقاً ، إذا جلس .. تكون كتفه أعلى من الجالسين .

رسول الله ﷺ .. إذا صافحه أحد إمتلأت يد المصافح له برائحة زكية كأنها عطر ، والصحابى الجليل أنس بن مالك يقول .. كنا نعرف رسول الله إذا أقبل بطيب رائحته فقد كانت رائحته الزكية تسبقه الى أى مكان فاذا جلس ملأت المكان .

هند بن أبى هالة بن السيدة خديجة زوجة رسول الله قبل زواجها منه يقول .. خافض الطرف ، نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء ، يبدأ من يلقاه بالسلام ، متواصل الحزن ، دائم الفكر ، طيب الرائحة ، لايتكلم فى غير حاجة .

رسول الله ﷺ .. يحزن على الذين لم يدخل قلوبهم نور رسالته التى جاءت لإسعاد البشرية ، وكان لايمل التأمل ، وليست له عادات مميزة

بحيث تسيطر عليه وتكون ضعفاً له ، كلماته لاتهين أحد ولاتجافى إنسان ، ويعظم أمر النعمة ، ولايذم أى شىء يذوقه ولا يمدحه حتى لا يقال انه يفضل طعام على طعام فكل رزق عنده يستحق التعظيم ، لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها ، اذا تحدث أتم الكلمات حتى يفهمه من أمامه .

* * *



في رسـول الله القدوة الحسنة

الحسـين رضـى الله عـنه سأل والده على بن أبى طالب كرم الله وجهه فقال .. كيف كان دخول رسول الله الى أى مكان ؟ ..

فقال على .. كان دخوله لنفسه مأذناً له .. معنى ذلك أن الرسول ﷺ كان قبل أن يدخل إلي أى مكان يستأذن من بداخل المكان إذا كانوا مستعدين للقائه ، من أنفسهم .

رسول الله ﷺ كان إذا آوى إلى منزله جزء وقته إلى ثلاثة أجزء ..

- الأول .. جزء لله يتعبد فيه .
- الثانى .. وجزء لأهله للقاء أهله .

الثالث .. وجزء لنفسه يختلى فيه بنفسه ويلتقى فيه بأصحابه ، فكان أقرب الناس إليه خيارهم ، وعلى قدر أفضليتهم فى دين الله .

وعندما يأتى إلى رسول الله أصحاب الحوائج .. فقلبه لهم ، وعقله معهم وينشغل بهم ، ويشغلهم فيما يصلح أمرهم ، وكان رسول الله ﷺ يقول .. من كان وصله لأخيه المسلم إلى ذى سلطان فى مبلغ بر أو تيسير عسير أعانه الله على إجازة الصراط يوم القيامة عند دخول الأقدام

ويسأل الحسين رضى الله عنه على بن أبى طالب عن خروج رسول الله وماكان يصنع فيه فيجيب على بن أبى طالب .. كان رسول الله قليل الكلام لا يتكلم إلا فيما يعنيه ، ويؤلف قلوب من يلقاهم ، ولا يبرق القلوب ، يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويتفقد أصحابه ويسأل عمن غاب منهم ، ويسأل عما فى الناس ، ويحسن الحسن ويصوب القبيح ويضعفه ، معتدل الأمر لا يغفل عن حديث أو قول أو أمر حتى لا يغفل الناس ، لا يبتعد عن الحق ولا يجاوره ، لا يفضل أحد على أحد فى مجلسه ويحب أحسنهم قدرة على النصح وأعظمهم مقدرة على التعاطف والتآزر ، لا يتكلم إلا فيما يفيد ، يجمع كلامه قلوب الناس وعقولهم ، ويحب أن تتكامل القلوب بالمحبة ولا تفرق بالكراهية .

على ابن أبى طالب رضى الله عنه يقول .. كان رسول الله ﷺ لا يولى على الناس إلا كريمهم ، أى أكرم الناس بالناس لأن الكريم يمنح من

ذات نفسه للآخرين ، ويسود عليهم بقدر مايبذله من أجلهم لا يقهرهم على شيء .

رسول الله ﷺ كان .. يُعَلِّمُ أصحابه الفطنة ، ويزن الانسان بميزان الاحترام ، وكان عليه السلام يحذر من أن يدس له أحد قولاً عن أحد ، لا يحب أهل النميمة والقيل والقال ، يستقبل الناس بحب وعطف وبشر ، الأمر الحسن يزيده حسناً ، الغير حسن ينهى عنه ، دائم اليقظة والانتباه دون توتر أو قلق .

رسول الله ﷺ لا يغفل عن شئ مخافة أن تكون الغفلة .. منهجاً ، يزن كل أمر بميزان العدل ولا يختلف مع أحد محبة في الخلاف ، لا يسمح بالنفاق في مجلسة ، لا يجلس في مكان ثابت إنما يجلس في المكان الذى ينتهى به وسط الناس ، يوزع عنايته على كل من يحضر مجلسه حتى لا يظن أنه أفضل من الآخرين ، لا ينهى لقاءه بأحد إنما يترك إنهاء اللقاء لمن طلب المقابلة .. مجلسه حلم وصبر وحياء وأمانة ، لا يرفع صوته إلا بقدر مايسمعه الآخرون ، دائم البشر ، لين الجانب ، سهل الخلق يتغاضى عن أى سلوك لا يعجبه كأنه لم يره حتى لا يخرج أحد في مجلسه .

رسول الله ﷺ ترك من نفسه ثلاثة أمور ..

الأول .. أمور الرياء .

الثانى .. الاكثار .

الثالث .. ترك مالا يعنيه.

وترك الناس فى ثلاثة أمور ..

الأول .. لا يذم أحد .

الثانى .. لا يعير أحد.

الثالث .. لا يطلب عورة أو عيوب أحد .

إذا تكلم رسول الله ﷺ .. سكت جلساؤه ، وإذا سكت تكلم أصحابه كل حسب دوره لا حسب مكانه لا يقاطع أحدهم الآخر ولا يقاطع رسول الله أحدهم ، وكان يضحك لما يضحك له أصحابه ، ويعجب مما يعجبون به ، وإذا دخل غريب يجهل مكانة رسول الله فكان الرسول .. يصبر على غلطة الغريب ويتلطف معه ، وإذا غضب بعض الصحابة لسلوك هؤلاء الغرباء فكان يطلب منهم أن يلتزموا الحلم .



ثانياً ٥٥٥٥

هجرة الرسـول إنطلاقا للدعوة الإسلاميـة .

الحكـم والعبر
التى لا تغيب

١

الحدث عظيماً

مناسبات الإسلام الضخمة ما أحسن أن نحييها ، ولكن الأحسن من هذا ألا نحيى المناسبة فقط فى فترة من ليل أو فترة من النهار ، والأحسن أن نحيى هذه المناسبة فى كل ما أتت بها من ثمار ، فنحياها قدوة ، ونحياها عبرة لا تغيب .

والمسلمين إكتفوا من إسلامهم بأن .. يحيوا مناسباته ، وكان الإسلام فى حاجة إلى أن يعيش بهم ، والناس ليسوا فى حاجة إلى أن يعيشوا بالإسلام ، وماأجمل الإسلام أن يحيا بنا ، ولكن ماأحوجنا أن نحيا نحن بالإسلام .

فى العالم الإسلامى نحن نحسن إستقبال المناسبة ، ولكننا لا نحسن معالجة المناسبة ، ومع ذلك نقول .. حسبنا الآن أن نعيش الإسلام تحقيقاً إلى أن ييسر الله لنا أن نعيش الإسلام تطبيقاً .

زمان ومكان

الحـــدث ..

الهجرة وإذا كانت حدثاً عظيماً ضخماً من أحداث الإسلام ، فيجب أن نلاحظ أن تاريخها لم يبدأ حيث بدأت حدثاً ، ولكنها نشأت مع البعثة نفسها لأن .. رسول الله ﷺ حين ذهبت به زوجته أم المؤمنين خديجة رضوان الله عليها .. ذهبا إلى ورقة بن نوفل فقص عليه الرسول ﷺ مارآه من خبر الوحى ..

فقال ورقة .. لتقاتلن ولتخرجن .

فقال الرسول .. أو مخرجى هم .

فرد ورقة .. نعم ماجاء أحد بمثل ماجات إلا عودى ، وأن يدركنى يومك .. أنصرك نصراً مظفراً .

رسول الله محمد ﷺ إستقبل خبر الهجرة فى الوقت الذى إستقبل فيه خبر تصديق أنه مبعوث .. إذاً فالهجرة نشأت مع البعثة ، فكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعلمنا .. أن البعثة بدأت بإطلاق الدعوة فى مكة فى آذان سادة الجزيرة العربية ، ولكنها إنطلقت من المدينة فكأنه لابد أن يلتقى .. الإطلاق والإنطلاق .

وإذا مانظرنا إلى الحدث فى ذاته فنجد أنه يحتاج إلى زمان ، وإلى مكان ، ولذلك نقول .. كل حدث له ظرف ، والظرف .. إما ظرف مكانى ،

وإما زمانى ، والظرف المكانى .. ظرف قار وثابت لا يتغير ، ولكن الظرف الزمانى .. متغير فيكون مستقبلاً ثم يكون حالاً ثم يكون ماضياً ، ثم يأتى بعد ذلك .. المكان وهو ظرفاً تابعاً للزمان .

التاريخ يراد به ربط الأحداث بالأزمنة ، ولذلك فالتاريخ دائماً يكون بالأحداث التى تنشأ فى .. الزمن لا بالمكان الذى ينشأ فيه الحدث ، وقديماً عُرِفَ التاريخ بالأحداث والمناسبات ، فقد كانوا يؤرخون بسيل العرم ، ويؤرخون بعام الفيل ، ولكن حدث الهجرة .. ذلك الحدث الضخم قد أُرِّخَ به ، ولم يُؤَرَّخ بعام البعثة ، لأن الهجرة كما قلنا .. كانت إنطلاقاً للدعوة لأنها أصبحت من .. دار إيمان لا من دار أمن فقط ، فالتاريخ لابد أن يرتبط بفلك ثابت ومستقر .

وحين نستقبل المحرم فيجب أن نعلم أننا لا نستقبل الزمن الذى حدثت فيه الهجرة .. لأن الهجرة حدثت فى أواخر صفر وأوائل ربيع الأول .

الأرتباط الفلكى للتاريـــــخ ..

وإذا كان لابد من أن نؤرخ للحدث .. فكان يجب أن نؤخر الإحتفال بالهجرة إلى أواخر صفر وأوائل ربيع الأول ، ولكن هذا الزمن لا يناسب

أن يكون بداية تاريخ لأنه غير مرتبط بأمر فلكى ثابت ، وإن كان لابد أن يرتبط التاريخ بأمر فلكى ثابت ومستقر ، فالأمر الفلكى الثابت المستقر فى عرف الإسلام إنما هو .. التّأريخ للشئ الذى لا علامة تميزة فلكياً وهو .. ظهور الهلال لأنك لا تستطيع أن تعرف الشهر بالشمس ، لأن الشمس هى التى تؤرخ لك الليل والنهار ، والهلال جاء ليؤرخ لك الشهر من الشهر ، ولذلك .. فأنت لا تستطيع أن تحكم على الشهر بالشمس أبداً ، وإنما أنت تحكم بالشمس على اليومِ فقط .

وحين تريد تأريخاً شهرياً لا تجد أمراً فلكياً له علامة ثابتة إلا .. الهلال ، إذاً.. فربط التاريخ بالهجرة ، والهجرة بالتاريخ القرآنى فى قول الله سبحانه وتعالى ..

«إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً»

(التوبة : ٣٦)

أى أن أولها هو شهر المحرم فقد قصد به .. الهلال فى أو المحرم فَيُعْلَم بذلك أن هذه بداية الأشهر .

وحين أرادوا أن يؤرخوا للهجرة كحدث ضخم من أحداث الإسلام لم يؤرخوا للحظة التى حدث فيها الحدث ، وإنما أرَّخُوا .. للعام الذى حدث فيه الحدث ليظل العام عاماً يبدأ من أول الشهر المحرم ، وينتهى العام

فى شهر ذى الحجة وتظل العلامة المميزة لهذا الشهر ـ المحرم ـ هى .. الهلال ، فيكون بذلك للعام الذى حدثت فيه الهجرة .

ونحن حينما نحتفى ـ نحتفل ـ بعام هجرى ، نحتفى بعام حدثت فيه .. حادثة الهجرة ، كما نؤرخ بالعام الذى حدثت فيه الهجرة ليظل أمر التاريخ مرتبطاً بأمر فلكى مميز لا يمكن أن يشارك فيه غيره .

* * *



المفاعلة بين الطرفين

حدث الهجرة إذا نظرنا إليه نجد أن الإسم له .. الهجرة ، ولكن كل فعل تعرض لهذا الحدث لم يَقُلّ .. هجر ، بل قال .. هاجر لأن هاجر غير هجر مع أن المادة واحدة ، ولكن أختير الإسم من الثلاثى ثم جئ بالفعل من المفاعلة الذى هو .. رباعى ، والذين هاجروا لم يسموا .. هاجرين ، وإنما سموا .. مهاجرين من هاجر .

إستعمال اللغة فى .. هاجر يعنى أنه يأتى من طرفين كما تقول فى .. قاتل زيد عمراً .. فمادة المفاعلة لابد لها من طرفين مثل .. شارك .. فقاتل زيد عمراً تعنى .. قاتل عمر زيداً ، فهى مفاعلة من طرفين أى لابد أن تكون المفاعلة من طرفين كل منهما فاعل ، ومفعول فى نفس الوقت .

هاجر رسول الله محمد ﷺ .. حدث في ذاته ، وكان فيه مفاعلة ممن ؟.. من كفار مكة ، لأن رسول الله ﷺ لم يتجنى على مكة المكرمة فيهجرها ، لأن .. هجر يستدعى سبباً من جهته هو ، حيث يقال .. هجرت كذا ، ولكن حين يقال .. هاجر فلان فإن ذلك يعنى أن من فى المكان كان لهم دخل فى المهاجرة لأنهم .. لولم يؤذوه ، ويؤذوا أصحابة ، ويضطهدوا المؤمنين الضعفاء ، ويضطروهم إلى أن يذهبوا إلى أماكن شتى ليقوا أنفسهم من بطشهم فلم يهجروا مكة إلى المدينة .. إذاً الذى ألجأهم إلى أن يهجروا مكة إلى المدينة لا لمجرد بغضهم لمكة ، وإنما من هم فى المكان وهم أهل مكة أى إضطروهم إلى أن يهاجروا .

إذاً .. فالهجرة حدث وهو .. مشاركة ضخمة ، والشعراء قد إنتبهوا إلى هذا المعنى فقد قال المتنبى ..

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون هم

فإذا ألجأك قوم إلى أن ترحل ، وكانوا يقدرون ألا يجعلوك تفارقهم فلا تكون أنت الراحل بل هم الراحلون .

فى الهجـرة إلى
أحب البلاد ؟ ..

رسول الله محمد ﷺ لم يهجر مكة لأنها .. أحب البلاد إليه ، ولكنه هاجر !! ، ومعنى هاجر .. أن من فيها ممن لم يفهموا دعوته إضطروه

بالإيذاء إلى أن يهاجر ، إذا .. فالمفاعلة قائمة من الطرفين ، والذين فعلوا معه هذا هم الذين هاجروا ، ولذلك كان رسول الله ﷺ يقول ..

اللهم إنك أخرجتنى من أحب البلاد

إلـى فادخلنـى أحـب البـلاد إليك

يعطينا رسول الله ﷺ بالهجرة درساً يجب أن نتأسى به فى كل أحداثنا الضخمة التى نحاول بها أن نؤثر فى مجرى حركة الحياة ، لأن الذى يريد أن يغير مجرى حياته وحياة من حوله ، لابد أن يتعرض لكثير من المتاعب ، لأنه سيخرج بالناس عما أَلِفُوا ، وذلك أمر شاق على النفوس ، وخاصة إذا كان النقل إلى أمر غير مساوٍ بل النقل من أمر تنطلق فيه حرية الحركة للناس بحيث يفعلون مايشاءون إلى دائرة تتحكم فيهم فتقول لهم .. إفعلوا كذا ، ولا تفعلوا كذا .

إذاً .. الذى يغير مجرى حياته إلى ماهو مخالف لها لابد أن يتعب ، ولكن .. التعب لا يمنعه من أن يأخذ من الأسباب .

رسول الله محمد ﷺ .. آمن بأنه رسول الله لأنه يشهد كما نشهد له نحن فيقول .. أشهد أن محمداً رسول الله فلابد كما شهد الله لنفسه .. أن لا إله إلا الله ، فكذلك محمد ﷺ يشهد أنه رسول الله فإن لم يقتنع بذلك تماماً ويشهد أنه رسول الله .. لإهتز من أول حدث ، ولكن الذى يجعله يقف أمام الأحداث عِلْمُهُ بأنه يستند إلى ركن شديد ، رشيد قوى هو .. الله ، وأن كل مايحدث له ـ للرسول ـ إنما هو إبتلاء حتى يتحمل

الدعوة الجديدة ، قوم لهم .. جَلَد ، ولهم .. صبر ، ولهم إلْف على تلقى المصاعب ، وعلى تحدى كل العقبات .

الله كان يمكن أن ينتصر لرسوله فى مكة ، ولكن أراد أن يربيهم على العمل الدائم فى سبيل الله ، فرأوا فى الإسلام عوضاً عن أهليهم ، وعوضاً عن أولادهم ، وعن أموالهم ، ومادامو وجدوا هذا فهم الذين يحملون الدعوة فقد أعد الله سبحانه وتعالى الجزيرة العربية لإستقبال الإسلام .

*　　*　　*



أفطنوا ياقوم !!

الله سبحانه وتعالى كان فى إعداده للجزيرة العربية لتستقبل الإسلام بأن جعلها جزيرة أمية ، فلو قال قائل .. كيف تعد أمة أمية لهذه الرسالة ؟.. نقول .. نعم لأن الله سبحانه وتعالى لا يريد إنطلاقة تنشأ من أمة متحضرة .

رب قول .. إن .. إن الدعوة نتيجة لحضارة ، وكان لابد أن توجد فلم يشأ الله أن يكون الإسلام هكذا ، أو فربما قال قائل .. قفزة حضارية لكن أراد أن يجئ الإسلام من نبى أمى فى أمة أمية ليعلم الناس جميعاً أن كل ماعندهم لايد لهم فيه ، وإنما هو من عند الله وحده ، لذلك يجب أن نعلم أن الذين يتكلمون فى أمية محمد ﷺ ويقولون .. يجب أن تمحى

هذه الكلمة فلا يقال .. نبى أمى فى أمة أمية !! نقول لهم .. إفطنوا ياقوم لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول للعالم إن محمداً ، وأمة محمد لم يأخذوا من حضارة الدنيا شيئاً ، وإنما جاء كل منهجهم من السماء فلا دخل لأحد فيه .. سواء بالنسبة للرسول الذى أنزل عليه أو بالنسبة للقوم الذين أنزل إليهم .

رسول الله محمد ﷺ سار فى الأسباب ، وعرض نفسه على القبائل ، والرسول قبل الهجرة كان محمياً فى الخارج بعمه أبى طالب ، وكان الكفار المعارضون للدعوة يحترمون بقاء أبى طالب معهم على دينهم ، ولا يحتدون فى إيذاء رسول الله ﷺ ، وكان عدم إيمان أبى طالب أو عدم استعلان إيمان أبى طالب رفعاً لهؤلاء إلى ألاّ يؤذوه كثيراً ، وإلى أن يحترموا بقاء عمه فى حضانة دينهم .. ربما كان ذلك ، وربما كان رأى العلماء الذين قالوا بأن إيمانه صحيحاً وذلك كما وضّح فى كتاب «أسنى المطالب فى إيمان أبى طالب» .. ربما .

لكن على أى حال كانت عملية إلآهية ، حتى تظل المهابة لأبى طالب، فلو أعلن أبو طالب إيمانه لأصبحت المجاهرة أمراً عادياً ، وربما كان لهم شأن آخر مع الرسول ﷺ .

ونذكر أن الله سبحانه وتعالى .. نصر الإيمان بالكفر . أى نصر إيمان محمد ﷺ بكفر أبى طالب ، لذلك يجب أن نفهم أن الحق سبحانه وتعالى حينما يريد أن يثبت أمراً فيأتى بالنصير من أمر مخالف لهذا الأمر وذلك معنى قوله سبحانه وتعالى ..

«وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ»

(الانفال : ٣٠)

عم رسول الله ابو طالب إن كان مساوياً للرسول ﷺ على .. طريقة الحماية السببية فإن محمداً يعلم أن الذى أرسله لن يخذله ، ولكن الحق سبحانه وتعالى لابد أن يجعله يـجد شيئاً مادياً هو .. عمه ، وله مكانته ، وله مهابته فى القبائل .. لذا فهو محمى به .

كما أنه لا يجور أن تكون المتاعب لصاحب الدعوة من خارج أمره فقط ، ولكنها قد تكون فى داخل أمره ، فقد حدثنا التاريخ أن .. إمرأة نبى ، وإمرأة رسول كانتا تخونهما ، ولكن السيدة خديجة رضى الله عنها كانت لرسول الله ﷺ سكناً بمعنى الكلمة فإن أهيج فى الخارج .. سكنته فى الداخل ، وأن حدثت له مشقات فى الخارج .. قابلته بحنانها فى الداخل كل ذلك دليل على أن رسول الله ﷺ كان مطمئناً فى الخارج بأبى طالب ، ومطمئناً بخديجة فى الداخل .

والله يعلمنا
من ذلك ..

رسول الله ﷺ بعد ذلك تعرض إلى أن يموت عمه أبو طالب وتموت السيدة خديجة وذلك فى عام واحد ، وبذلك فَقَدَ فَقَدَ السكن ، ولم يجد رسول الله ﷺ بداً من أن يعرض نفسه على القبائل لعلها .. تحميه ، فذهب إلى الطائف حيث قبيلة ثقيف لعلها تحميه ، ولكنه إستقبل

إستقبالاً سيئاً حتى أصبح ذلك من بديهات تاريخ الإسلام وعز عليه النصر فى الطائف .

الله سبحانه وتعالى يعلمنا من خلال ذلك أن ..

- أخذك بالأسباب لابد أن يكون سابقاً على إتكالك على المسب .
- الأسباب مخلوقة لله .
- يد الله ممدودة بالأسباب فلا يجوز أن ترد يد الله بأسبابه ثم تقـول .. يارب إفعل لى لأنه يقول لك .. أنا أعطيتك يدى بالأسباب .. فلماذا لم تتناول هذه الأسباب ؟.. أنا لا أجيب إلا المضطر .

المضطر هو .. الذى إستنفذ الأسباب ، ورسول الله ﷺ إستنفذ الأسباب للأستنصار لدينه ، فشاء الحق سبحانه وتعالى أن يقول له .. إنك قد ذهبت إلى النصير ، وتعبت فى سبيله فلم تجده فأخذت بالأسباب فليكن النصر من المسبب .. ليأتيك النصر وأنت فى مكانك .

النصر يتمثل فى مجئ الأنصار إلى رسول الله ﷺ وذلك فى .. العقبة وبايعوه ثم أكْثِر من القلة ثم كثيراً وكثيراً فقد كانوا الطليعة الإيمانية فى المدينة التى تبشر بمحمد ﷺ ... إذاً فرسول الله أستنفذ الأسباب من أجل أن تواتيه الأشياء حتى جاءته الأسباب وهو فى مكانه .

ذلك درساً يجب أن نتعلمه وهو .. أن نتتبع الأسباب ولكن لا نعتقد أن هذه الأسباب غاية ، لأن وراء الأسباب مسبباً فيجب أن نلاحظ أن الله

سبحانه وتعالى يعطينا فى الهجرة لفتات هذه اللفتات هى .. سببية الحدث فتلك ليس معناها أن يقبل الإنسان على السبب بدون إدراك أو بدون تقدير.

وضاقت الدنيا
على إتساعها ..

رسـول الله ﷺ حينمـا أوذى وأتباعـه ولم يجد لهم نصير ، وخاف عليهم ، ونظر إلى خريطة الدنيا وبسط أمامه ملوك العالم فوجد أنهم إن ذهبوا إلى أى بقعة من الجزيرة العربية ، والجزيرة خاضعة لسادة قريش لأن قريش هم .. سادة العرب ، والعرب تحترم تجارة قريش لمكانتهم من البيت ، إذاً .. فأى مكان بالجزيرة لا يصلح أمناً للمضطهدين لأنهم يجدون من يتقدم مجاملاً ليمكن قريشاً من هؤلاء المهاجرين ..

ثم نظر رسول الله ﷺ إلى خارج الجزيرة للبحث عن بلد ولا يكفى أن يكون هذا البلد الذى يختاره خاضعاً لكتاب سماوى ، ولا أن يكون أهله مؤمنين برسول ، ولكنه ﷺ نظر إلى السلطة الزمنية فى أنة قد يكون الملك تابعاً لرسول ولكنه ظالم لا ينفذ تعاليم كتابه كالروم والفرس ، فرأى رسول الله ﷺ أن أعدل الحكام فى الحبشة بدليل أنه قال لأصحابه ..

إذهبوا إلى الحبشة فإن فيها ملكاً لا يُظْلَمُ عنده أحد ، وكان ذلك إيذاناً من رسول الله ﷺ بأن قريشاً لن تترك أصحابه فى الحبشة ، وأنهم سيذهبون إلى ملكها بالهدايا ليسلم إليهم هؤلاء المهاجرين .

قول رسول الله ﷺ .. إن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد .. ذلك ليس مجرد فرار ، ولكنه ذهاب إلى أمن ، ولذلك سميت الهجرة إلى الحبشة هجرة إلى دار أمن ، أما هجرة رسول الله ﷺ فهى .. هجرة إلى دار إيمان ، وهذا هو الفرق بين الهجرتين ..

- تلك هجرة إلى دار أمن .. إلى الحبشة
- وهذه هجرة إلى دار إيمان .. المدينة المنورة .

* * *

مواجهة الأحداث
بالذاتية البشرية

١

إن الله معنا

رسول الله محمد ﷺ يعلمنا أننا حين نخطط للأسباب فيجب أن نخطط أيضاً لكل .. إحتمالاتها ، ولكل مجالاتها .. فقد خطط للرواحل .. وخطط للزاد .. وخطط لدليل الطريق ، ولكل شئ ولعل قائلاً يقول .. بأى سبب كان سينتصر رسول الله ﷺ ؟.. ولكنه يعلمنا أننا لن ينزل علينا الوحى !! .

وحين نخطط لأمر من الأمور يجب أن نخطط له بشمول وبجد ، ولذلك إنظروا إلى مكر الله بالكافرين .. إستعرضوا الأمر وقولوا لى .. بأى عقلية ، وبأى عقيدة جاء رسول الله ﷺ برجل كافر على دين قومه

ليهديه ــ ليدله ــ إلى الطريق في هجرته !! أمّا أغراه الْجَعَل ــ قدر له مكافأة ـــ الذى جعلته قريش على أن يدلهم على محمد ، مع أن الجعل كان سخياً ؟.. ولكن حرارته لحفظ نبى الدعوة جعلته لا يفعل ، ومع ذلك إستخدمه رسول الله ﷺ .

رسول الله ﷺ .. بإشراقات النبوة لديه لابد له أنه قرأ شيئاً فى مواجيد هذا الرجل ، فوجد فيه أنه لا يمكن أن يدل عليه قريشاً .. فإن الذى يُعَرِّفُ محمداً بالطريق وهو كافر .. فيجب أن يفهم جيداً أن هذا الرجل لن يسلمه إلى قريش وهذا هو ماحدث .

وهاجر رسول الله ﷺ .. خفية ، ولكنها خفية أشق على نفوس الكافرين من العجز .. هاجر خفية وهم مترقبون وهم محيطون به ، فكيف يخرج من بينهم ؟.. تلك نهاية العجز فأنهم لو لم يكونوا محيطين به لقالوا لو كنا أحطنا به لما فر ، ويقول ا لهم .. أحيطوا به وسيسلم منكم أيضاً .

رســــول اللـه
إسـوة للضعيف ..

إنظروا إلى أن رسول الله ﷺ .. ليس أقل شجاعة من عمر بن الخطاب فعمر هاجر علانية متحدياً وقال .. من أراد أن تثكله أمه أو يتيتم ولده فليتبعنى .. أكان محمداً أقل شجاعة من عمر ؟! محمداً ﷺ كان دائماً

أسوة للضعاف !!.. لأن القوى لا يحتاج ، وهجرته خفية أسوة للضعيف ، وكان يتخذ الأسباب ، ويجوع ويربط الحجر على بطنه .. كل هذا أسوة للضعيف فكل من يقبل على دين الله يقبل على قدر قدرته .

محمد ﷺ .. يختفى فى الغار ثم يتبعه قومه ، وليتهم لم يهتدوا إلى الغار لكنهم .. يهتدون إلى الغار ، وينقطع الأثر ، فقد كان لابد أن يعلموا جيداً أنه هنا ، ولكن الحق سبحانه وتعالى أراد أن يرد أقوى أعدائه بأوهى البيوت ، وهو .. بيت العنكبوت ، ويأتى عنكبوت ويعشش ، ويعتقد القوم أنه لو كان فى الغار لانهدم بيت العنكبوت ..

«وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ»

(آل عمران : ٥٤)

حينما قال رسول الله ﷺ لأبى بكر ..

«لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا»

(التوبة : ٤٠)

المؤمن مهما بلغت به الشدة يجب أن يتمثل فى أن الله معه ، والذى يجعل الإنسان يخور أمام الأحداث لأن الحدث أضخم منه ، فلو أن الإنسان واجه الأحداث بذاتيته البشرية الضعيفة المتغيرة لكان من الممكن أن يخور ، ولكنه بالإيمان بالله الذى به يكون فوق الأحداث يجعل الإنسان يواجه الأحداث بقوة وعزم .

أبوبكر الصديق رضى الله عنه كان يضحى بذاتيته حين سار مع رسول الله ﷺ ولكن كيف ؟..

- مرة عن يمينه .
- مره عن شماله .
- مرة أمامه .
- ومرة خلفه .

ويسأل أبوبكر رضى الله عنه رسول الله ﷺ فيقول .. يارسول الله أنا أذكر الرصد فأمشى أمامك .. ومعنى الرصد هو .. القوم الذين تقد أنت عليهم فتجدهم يجلسون متربصين لك ، ويخشى أبو بكر أن يكون أمامه رصد يتربصون به فيمشى أمامه ليتأكد ، وهو لا يمشى إلا فى المنحنيات غير المتبعة .. يخاف أبو بكر على رسول الله ﷺ ممن يطلبه من ورائه فيمشى خلفه ، وإذا وجد منعطفاً عن يمين أو شمال صار حيث يوجد ـ المنعطف ـ مظنة الخوف .

إذاً .. فأبو بكر رضى الله عنه ضحى بذاتيته فى سبيل المحافظة على رسول الله ﷺ ، وهب أن هناك رصداً فمن الذى يأخذ أول إصابة ؟.. بالطبع هو أبو بكر رضى الله عنه .. الخلف كذلك ، واليمين والشمال كذلك ، إذاً فقول أبو بكر..لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا.. فذلك ليس خوفاً على نفسه لأنه ضحى بها فى المواقف كلها ، فالخوف على من ؟.. على رسول الله ﷺ ..هذا درس معناه إذا كان فى الناس رائد فكر أو رائد إصلاح ، أو رائد جهاد فوجب على الناس أن يحافظوا على هذا

الرائد ، لأنه ليس فى كل الناس أن يصلحوا رائداً .. هناك أناس يعوضون ، وأناس لا يعرضون فيجب أن يكون من يعوض فداء لمن لا يعوض .

وحين يكون من يعوض فداء لمن لا يعوض يكون هناك إيمان بالدعوة من جميع جهاتها .. من مركزها ومن محيطها وأطرافها ومن كل شئ فيها .. فالكل يضحى من أجلها ، لكن الرائد يجب أن نفهم من كل أعماله ، ومن كل تصرفاته أنه يعيش .. للأمة ، ويعيش .. للدعوة ، ولا يعيش لنفسه .

وحين يعيش الرائد من أجل الدعوة فإنه يستحق من جميع المحيطين به أن يضحوا ليبقى عنواناً .. للدعوة ، وعنواناً .. للرأى ، وعنواناً .. للفكرة ، كذلك كان أبو بكر رضى الله عنه مع رسول الله ﷺ .

يقين المعاينة من الله ..

والرسول محمد ﷺ خاطب أبو بكر رضى الله عنه من .. ناحية يقين المعاينة قائلاً .. ماظنك باثنين الله ثالثها ؟.. فكأنه عاين الله ثالثهما ، ومادام يتكلم من ناحية يقين المعاينة ، وقد عاين الله ، والمعية للضعيف مع القوى تضفى على الضعيف قوة من القوى .

هب أن رجلاً يمشى مع فارس ، وبعد ذلك هاجم الضعيف قوة .. فالضعيف لا يواجه القوة إلا بالفارس .. فإذا كان الإنسان فى معية الله سبحانه وتعالى فإنه يواجه كل الأحداث بالله ، لكن حين ينفصل عن الله يواجه كل الأحداث بنفسه .

قول رسول الله ﷺ .. ماظنك باثنين الله ثالثهما ، فيه قول لرسول الله لأبو بكر .. لو نظر أحدهم تحت قدميه فلن يرانا لأن عين الله سبحانه وتعالى تحرسنا .. إذاً هما ــ الاثنين ــ فى معية الله وهو من لا تدركه الأبصار أى أن قانون القوى هو الذى يحكم .

ونظرة أخرى إلى حدث الهجرة ، فلننظر إلى .. ام معبد التى تستقبل ركب الهجرة ، وليس عندها شئ ، والكريم إذا أصيب بصدمة الإعسار فإنها تكون صدمة شديدة حينئذ يجود بما عنده ، فلم يكن عند أم معبد سوى شاة عجفاء لا لبن فيها .. فرسول الله ﷺ مسح على ضرتها فدر لبنها هذا هو .. الجواد ، إذاً الأسباب .. منقطعة فالحق سبحانه وتعالى يجرى خرق النواميس فيها .. لتشرب هى ، ويشربون هم .

* * *

٢

المدينة إنطلاقاً للدعوة الإسلامية

وعندما تأتى ملحظية الاستقبال ، يجب أن نفهم أنها إحتشاد بمكلف وهو رسول الله ، وإحتفال بمن يقيد حركة .. فلو كنا نحتفل بمن يقيد حركتنا لكانت المهمة سهلة ، لكن رسول الله ﷺ .. آت بتشريع إفعل كذا ، ولاتفعل كذا .. آت ليقيد حركتهم بعد أن كانوا أحراراً فيما يأتون ، وفيما يدعون ، وجاء الرسول ﷺ .. ليحكمهم التزاماً بمنهج ، وبأمر من مشرع .

أيها الناس .. أنتم ستصبحون مقيدين وملتزمين ، فكيف يفرح الإنسان بمقيد وملْزِمٍ ؟ .. هذا شيء عجيب أنا أفهم إننا نفرح بفرد ليريحنا ويعطينا ، لكن هذا آت مع اخوانه المهاجرين وليس معهم شيء ،

فكان من الواجب أن يستقبلهم الأنصار بأرزاق ، وأماكن ، وأعمال لأنهم تركوا أماكنهم ، فلابد أن يكونوا أهلا لهم بدل أهليهم .. وسكنا لهم بدل سكنهم مع تقيدهم بمنهج جديد .. فكيف يفرح الانسان بهذا ؟ .. كيف يفرح بمقيد وملزم .

انها صفة

الايمان ..

صفقة الايمان تدل على أنه حين تُعَقَدْ يجب ألا يلحظ فيها التقيد فى الحركة ، ولكن الجزاء على تقيد هذه الحركة ، والجزاء على التضحيات التى تنتظر الأنصار والتى قدمونها للمهاجرين .. عاينوها وأيقنوا بها وبما أعد لهم ، فقارنوها بما بذلوه فرأوا أن مابذلوه ضعيف بالنسبة لما سيأخذونه .. كما تهب أنت الثمن للبائع طمعاً فى أن السلعة ستعطيك أكثر نفعا من الثمن !!

التآخى بين المهاجرين والأنصار الذى يحدثه رسول الله ﷺ نجده لونا ليكون ألإلْفَةْ فى دنيا الإيمان كلها ، فلقد إنتظم جماعات المؤمنين وذلك حتى لايثار نوع جديد نتيجة للتآخى الذى أحدثه رسول الله ﷺ .

النعم التى يُنَعِم بها الله على عباده يمكن أن تتعدى على الآخرين مثل .. مالاً ، أو مركباً ، أو ثمراً ، أو داراً إلا نعمة الله بالمرأة على الرجل

تلك النعمة لايحب الرجل أن يشاركه فيها أحد ــ وهى المرأة ــ فهذه قمة النعمة التى يحتفظ بها الإنسان لنفسه ولا يسمح فيها بالمشاركة من أحد غيره .

المهاجرون الذين خرجوا من ديارهم ، ومن أموالهم ، ومن أزواجهم فيأتى رجل من الأنصار المتزوج بأمرأتين فيقول الإنصارى للمهاجر .. إنظرهما ــ أى أنظر اليهما ــ فمن أعجبتك منهما طلقتها لك وتزوجها تلك أى سماحة تكون هذه ؟ .

قمة الغيرة فى الإنسان هى .. المرأة ، فكل نعمة يمكن أن تحب فى أن تتعدى منك الى غيرك إلا نعمة المرأة فلاتحب أن يتمتع بأمرأتك أحد غيرك .. لكن تلك أيضاً دعتهم حميتهم لإيمانهم الجديد إلى .. التضحية بها ــ بأمرأته ــ فيضحى الإنصارى بإمرأة من امرأتين ليتزوجها أخوه المهاجر .. هذا شىء عجيب !! .

واجهة الاشعاع ..

رسول الله محمد ﷺ يستقر فى المدينة ، فنجد أن الله سبحانه وتعالى قد هيأ الزمان ، وهيأ المكان المناسبا لإنتشار الدعوة ، فيبدأ أولاً بمهبط الاشعاع وهو .. المسجد ، لأن هذا المكان ــ وهو المسجد ــ فيه دوام

إعلان الولاء لله الذى آمنا به .. فيه يتكرر الولاء لله فمنه تسمع .. الله أكبر خمس مرات يوميا ، وأنت فى زحمة الحياة فيتحدد ولاؤك ، ولذلك حين نلاحظ قوله سبحانه وتعالى ..

«مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكَاة فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن
شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَ شَرْقِيَّةٍ
وَلاَ غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ
لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ
يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ»

(النور : ٣٥)

وقال سبحانه وتعالى بعدها ..

«فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ
وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ
لاَّتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ
اللهِ»

(النور : ٣٦/٣٧)

ما متعلق الجار والمجرور فى قوله تعالى .. فى بيوتٍ ؟ .. تلك تجليات الحق سبحانه وتعالى وهى اللحظة التى يناجون فيها ربهم ، فالرسول ﷺ هيأ المكان الذى يكون فيه دوام إعلاء الولاء لله رباً للجميع ، ومادام إعلان الولاء لله الذى آمن به الجميع قد أرتبط به الجميع على إختلاف نزعاتهم ، وإختلاف ميولهم بشىء واحد والمربوط به ليس مماثلاً به .

الذى يتعب الناس بعضهن مع بعض هو خوف الفرد منهم أن يتبع آخر فى رأيه ، أو أن فرداً يستدل آخر بمنهجه ، ولكن حين تكون أنت وهو .. خاضعين لمنهج واحد لإله واحد ، فهنا الذلة منك ومنه لغير مماثل ، ومادام الذلة لغير مماثل بل هى لأقوى فكلنا يصدر عن حركة واحدة .

إختلاف الأمم التى نعايشها الآن اذا مانظرنا اليها وجدنا أن أصل البلاء فى الأمم الاسلامية والعربية حيث هو أن لكل واحد له هوى ، وكل واحد له .. رأى ، إذاً الويل للضعيف الذى ليس له نصير ، ولكن لو كانت أهواؤنا جميعا صادرة عن هوى واحد كما قال رسول الله ﷺ ..

لا يؤمن أحدكم حتى يكون
هـواه تبعـا كمـا جئـت بـه

حين يكون هوى الجميع تبعا لما جاء به رسول الله ﷺ فلا تضارب فى الحركة .. ولا تضارب فى الهوى .. ولاتنازع ولاإستذلال من أحد لأحد .

إرجعوا الى

صيحة السماء ..

العالم سيظل فى هذا الإنهيار والشقاء والتمزق الخلقى مادام كل فرد له فكر من رأسه ، ويقول الله سبحانه وتعالى .. إرجعوا الى صيحة السماء فى كل الارض فستجدون عزكم جميعا لأنكم ستحكمون عن الله بمنهج الله وشريعته وحين تحكمون عن الله فلن تجدوا أحداً يظلم أحد ، ويستنكف الفرد منا أن يذل بقوته أحد .

الاستطراق الذى صنعه رسول الله قد يقال فيه .. مؤاخاة .. ونقول .. لا لأن الإستطراق فى أمرين هما ..

◉ الاستطراق العقيدى فى وحدة التلقى عن إله واحد ، والاجتماع لله فى مكان واحد ، ونسمع كلنا ميدأ واحداً لا نختلف عليه أبداً وهو .. الله أكبر ونشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .

◉ إستطراق إقتصادى أو إجتماعى أو عهدى حر كما صنع مع اليهود حين عاهدهم أولاً لأنهم كانوا يستفتحون به على الذين كفروا ، فكان المفروض أن يكونوا أول من آمن به ، ولكنهم عاونوا الكافرين على رسول الله ﷺ .

اليهود وما علم من غبائهم بأنهم هم الذين حموا الاسلام فى المدينة !! .. إنظروا إلى ذلك كيف ؟ .. قبل أن ينزل الاسلام كانوا يستفتحون على الذين كفروا ويقولون .. سيأتى نبى منكم نتبعه نحن لأننا أتباع نبى هو أخُوهُ في النبوة ، وحين نتبعه نقتلكم قتل عاد وإرم ، فكانوا يهددون قبيلتى الأوس والخزرج بالنبى المنتظر الذى جاء فى كتبهم والذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل .

قبيلتى الأوس والخزرج سمعوا ذلك وحين علموا أن نبياً ظهر فى مكة قالوا .. هذا هو النبى الذى توعدتنا به اليهود هيا بنا لنسبق اليه قبل أن يسبقونا إليه .. فكأن الله جعل الكافر فى مبدأ الإنطلاق بالهجرة هو الهادى لمحمد ﷺ فى الصحراء .. أى أن الهادى لركب الايمان كافر ، والذى جاء بأنصار الإيمان الى مكة اليهود .

إذاً فالكفر واليهودية تعاونا على نصرة الاسلام ..

« وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ »

(الانفال : ٣٠)

وحين إستقر رسول الله ﷺ فى المدينة ووجد الأنصار يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ويقول الحق سبحانه وتعالى .

« وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ
مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ
إِلَيْهِمْ وَلَايَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِمَّا أُتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْكَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ »

(الحشر : ٩)

كل هؤلاء أظهروا حفيظة قريش ، ولكن قريش رأت أنها بصدد قوة ، هذه القوة أصبحت تهددهم ، وتهدد مركز المهابة لهم وهو .. أن تجارتهم تتعرض لها في الجنوب ، ولا فى الشمال لماذا ؟ .. لأن الحج الى بيت الله كان موجودا ، وكل قبيلة مهما نأت .. كان منها من يحج إلى بيت الله الحرام كل عام .. إذاً فأى قبيلة من هذه القبائل ستكون بين يدى قريش فى مكة ، ويخافون أن يتعرضوا لتجارتهم بسوء لأن الإنتقام منهم مؤكد حين يذهبون للحج فكانت .. المهابة لقريش من هذه الناحية .

إذاً أى قبيلة تخاف أن تجيرعليهم ؟ .. ومعنى تجير عليهم هى أن تقول .. أنا أُجِيرَ فلاناً من قريش ولايستطيع أحد أن يقولها أبداً .

قريش إذاً كانت بهذه المنزلة فقد وجدت فى الطريق الى الشام قوة إسلامية تستطيع أن تهددها ، وحين تهددها — أى تهدد قريش — فقد فقدت قريش مهابتها . اذاً .. كان لابد أن تعقد معاهدة بين قريش الكافرة ، وبين رسول الله ﷺ وهى .. معاهدة الحديبية .

محمد ﷺ أصبح .. قوة ، ومادام قوة تعاهد ، وتعاهد تعطى وتعطى .. إذاً أصبح قوة معترفاً بها ، وإذا كان قوة معترف بها لمكان موقع المدينة بالأنصار وبالاسلام فقد إستطاع أن .. يعاهد ، وحين يعاهد فقد آمن شر من جانب فيتفرغ للجوانب الأخرى .

العبر والتأسى ..

الهجرة الى المدينة كانت تمثل .. إنطلاقا بالدعوة ، ولذلك نجد الاحداث الضخمة كانت بعد الهجرة .. والهجرة فى ذاتها حين تكون حدثا إسلامياً يجب أن نعلم أن رسول الله ﷺ فى عمره الإيمانى الاسلامى منذ ساعة أن عهد اليه، والى أن لقى الرفيق الأعلى نجد أن كل جزئية من جزئيات حياته .. حركة أو فعلا تكون مطابقة لدستور الإسلام ، لم يترك صغيرة ولا كبيرة من قضايا الإسلام فى شىء حتى تقوم الساعة .

العبر حين نأخذها من حياة رسول الله ﷺ . نرى أنه ..

لايصح أن نأخذ العبرة على أنها قصة تاريخية نقتل بها الوقت ، ولاعلى أنها ترف عقلى .

نأخذ العبرة على أنها تشكل نمطاً سلوكياً .

أى أن كل من يعى جزئية من جزئيات الإسلام يعد مسئول أمام الله عن ..

- بلاغها نظريا .
- توضيحها تطبيقيا .
- وحدوثها سلوكياً .

الذى يتعب الاسلام فى كل أموره الآن .. أن مبادىء الاسلام شىء ما أجمله ، ولكن تطبيق المسلمين لما يعلمونه من مبادىء الاسلام شىء يذهدون فيه !! .. فهم بتصرفاتهم يصرفون الناس عن أن ينظروا الى الإسلام ، ولا أزال أذكر كلمة المستشرق الذى أسلم فقد قال .. الحمد لله الذى هدانى للإسلام قبل أن أعرف المسلمين .. لأنه لو كان عرف المسلمين بسلوكهم فربما كان قد أنصرف عن الإسلام ، لأنهم يرون أن السلوك هو الذى يوصل الى الاسلام .

آفة المجتمع ..

ألفِرْيَةُ تلك يجب أن تبتعد فى مجال المقارنات المبدئية لأن الاسلام حين يشرع شيئاً ليس معناه .. أن كل مؤمن بالاسلام سينفذه بل ربما يخالف ، ومادام يخالف فالمخالفة جريمة لها عقوبتها .. فالآفة إلا تجد فى مجتمع المسلمين عقوبة على شىء أنت تراه جريمة ، أما أن توجد جريمة ولايجرم فاعلها ، ولا يعاقب فذلك لأن الاسلام عاطل الآن فى رءوس البعض ، والله سبحانه وتعالى يريد للإسلام ..

- مبدأ ينقل ويحقق .
- مبدأ ينقل ويطبق.

فاذا ماقصرنا فى الأول فقد .. قصرنا فى حمل العلم الذى قال فيه رسول الله ﷺ .

يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له

وإذا قصرنا فى الثانى .. أى فى التطبيق إبتدأ غير المسلمين لاينظرون إلى إيماننا ، ولكن ينظرون الى سلوكنا ، وحين يكون سلوكنا غير إيمانى يزهدون فى الايمان .

إذاً .. فنحن الْمُزْهِدُونَ فى الاسلام كان الأولى أن نكون دعاة للإسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

* * *

المحتوى

* * *

الإمام

محمد متولي الشعراوي

في كل لقاء معه يأخذنا إلى بحار الإيمان غايته النجاة والهداية من ظلمات هذه الحياة .. وصفحات هذا الكتاب تعرض بجلاءً نورانياً لأمرين يعشق كل مسلم الاقتراب منهما وذلك لعبق جلال هذين الأمرين وهما ..

● **الأول .. الإنسان الكامل محمد ﷺ** .. ففي هذا العرض نجد فيض من الله في أن يبين لنا أن الرسول هو النموذج الذي صنعه الإله ليكون قدوة لخلق الله في حركة الحياة ، فكل ما جاء به الرسول هو منهج من الله سبحانه وتعالى فهو مثلاً أعلى للمثالية التي تعد تطبيقاً للمنهج الرباني الذي أتى به ليبلغ الناس البلاغ الحق ويكون شهيداً عليهم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

● **الثاني .. هجرة الرسول إنطلاقاً للدعوة الإسلامية** .. وهذه تعد من الأهمية لكونها ركيزة في الدعوة الإسلامية ، فالهجرة حدث ضخم عظيم فقد أراد الله أن يعلمنا أن الهجرة بداية لإنطلاق الدعوة الإسلامية ، وذلك لتشرق شمس الإسلام على شتى بقاع المعمورة لتكون نوراً للهداية ، والرسول ﷺ يعطينا من الهجرة درساً لنتأسى به في حركة الحياة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

هذا الموضوع يعد نفحة من **الإمام محمد متولي الشعراوي** فعرضه الآن هو سيراً معه لنسجل له هذا التراث الإيماني ليكون لنا وسيلة للنجاة من الظلمات إلى النور ليأخذنا إلى بستان الهداية والفلاح .